المحاضرة الخامسة أدب شعبي

الشعر الملحون و مجالاته

1/ ماهية الشعر الملحون : تعددت المصطلحات و التسميات لهذا الشكل التعبيري ، كل باحث اختار المصطلح الذي يلائمه و من هذه التسميات نذكر: الشعر الشعبي _ الشعر الملحون _ الشعر العامي _ الزجل ...و لم يقتصر هذا الاختلاف في المصطلح على الباحثين فقط بل نجده قائما حتى عند الشعراء أنفسهم تماشيا مع بيئاتهم و ما توارثوه عن أسلافهم فنجدهم يطلقون على أشعارهم : الكلام _ الميزان _ الغنا _ القول _ القصيدة _ الشعر ....

2/ **اشكالية التسمية :** يرى محمد المرزوقي أن الشعر الملحون أعم من الشعر الشعبي و حجته في ذلك أن لغته عامية تخلو من القواعد الصرفية و النحوية . فوصف الشعر بالملحون أولى من وصفه بالعامي فهو من لحن يلحن في كلامه أي نطق بلغة عامية غير معربة .فهو يفضل استعمال الملحون على العامي و الشعبي .

أما عبد الله الركيبي نجده هو الاخر يفضل مصطلح الملحون يقول : (اخترت مصطلح الشعر الملحون دون غيره من المصطلحات الأخرى التي استخدمها الباحثون تماشيا مع ما شاع في البيئة الأدبية بالمغرب العربي التي عنيت بدراسة هذا الشعر و جمعته و سجلته ، فقد اتخذ هذا الشعر اللهجة العامية أو الدارجة أداة له و بذلك كان تعبيرا عن مزاج العامة من الناس) . و نفهم من هذا ان الركيبي اختار مصطلح الملحون لشيوعه و تداوله في منطقة المغرب العربي و ايضا للغة العامية التي تعتبر أداة له .

أما التلي بن الشيخ يرى أن سبب اختلاف الباحثين في تسمية الشعر راجع لعدم وجود تحديد واضح لمفهوم الشعبية في الادب يقول (و بالرغم من أن الباحثين في الادب الشعبي يستخدمون تعبير الطبقات الشعبية مثلما يطلقون تسمية الادب الشعبي على الابداعات الشعبية كمسلمات أو بديهيات فإنهم لا يتفقون عند الحديث عن الشعر الشعبي ... كما أن كلمة ملحون قد أطلقها البعض على الشعر دون النثر مع أن اللحن من خصائص الادب الشعبي شعرا و نثرا بالإضافة إلى أن اللحن يشمل كل أنواع التعبير الشعبي) و نفهم من هذا أنه يرفض إبعاد صفة الشعبية عن الشعر الملحون .

أما الباحث المغربي عباس الجراري فقد وظف مصطلح الزجل و يعود سبب اختياره لهذا لامصطلح لعدة أسباب هي :

_ اطلاق الشعر الملحون على كل شعر ينظم باللغة العامية فالزجل الاندلسي هو منبع كل شعر ملحون

_ شيوع هذا المصطلح بين الشعراء المغاربة

_ شيوع هذا المصطلح في مختلف البلدان العربية ، و بهذا فهو يسهم في توحيد المصطلحات العربية

ومن جانب آخر نجد الركيبي يرفض هذا المصطلح و يرى أن (اطلاق مصطلح الزجل على الشعر الجزائري الملحون لا يستقيم لأن ألفاظه ليست عامية و انما هي مزيج بين الفصحى و العامية)

و مما تقدم يتوضح لنا التباين على المستوى المغاربي في استعمال مصطلح مشترك فمنهم من يفضل الملحون و منهم من يفضل الشعر الشعبي و منهم من يفضل الزجل و لكل حجته . و نحن في الجزائر نأخذ بمصطلح الشعر الملحون و ذلك للأسباب الآتية :

_ مصطلح الملحون متداول مغاربيا خاصة في الجزائر

_ اللحن أهم خاصية في الشعر الملحون

_ ارتباط الشعر الملحون بالغناء كما هو في قصيدة حيزية

_ خاصية عدم مجهولية القائل ، حيث يؤكد الشاعر اسمه في آخر القصيدة و اسم عرضه و تاريخ نظمه لقصيدته و هي الخاصية التي يختلف فيها الشعر الملحون مع النثر الادبي الشعبي .

3/ نشأة الشعر الملحون المغاربي :

يرى كثير من الباحثين أن الشعر الملحون ظهر مع الفتوحات الاسلامية للمغرب العربي ، و ازداد انتشارا و رسوخا مع مجيء الهلاليين الذين ساهموا مساهمة فعالة في تعريب الجزائر

يرى عبد الله ركيبي أن الشعر الملحون تأثر بقدوم الهلاليين الذين أتوا إلى المغرب العربي حاملين معهم لهجتهم المتعددة و تغلغلوا في الأوساط الشعبية حيث أثروا فيها تأثيرا كبيرا و خاصة المناطق التي انتشر فيها الهلاليون (المناطق الجنوبية و الداخلية)

أما محمد المرزوقي فيرى بأننا لم نعثر على أي نص شعري منظوم باللغة العامية يعود إلى ما قبل منتصف القرن الخامس للهجرة (أي قبل الزحفة الهلالية) و بالتالي فأعراب بني هلال قد أدوا دورا حاسما في تطور الشعر الملحون .

أما التلي بن الشيخ فنجده يؤكد صعوبة الوصول إلى رأي قطعي و حاسم حول نشأة الشعر الشعبي نظرا لغياب النصوص المادية كما انه يعلل غياب هذه النصوص _ قبل الهجرة الهلالية _ بأحد الاحتمالين:

_ تطرق هذا الشعر إلى أغراض حاربها الاسلام من افتخار بالقبيلة و الانساب و تغزل ماجن على اعتبار أن هذه الاغراض قد وقف الاسلام منها موقفا صريحا مما أدى إلى زهد الشعراء و الرواة فيها .

_ غياب التدوين و انتشار الامية الشيء الذي أدى إلى ضياع هذا الشعر خاصة بعد ذهاب رواته و حفظته الذين كانوا يضمنون استمراره و تواصله بين الاجيال .

هذا الرأي بالنسبة للشعر البدوي أما الشعر الحضري فيرجع أغلب الدارسين تأثره بالموشحات و الأزجال الاندلسية التي حاول المغاربة معاكاتها و النسج على منوالها و هو الرأي الذي ذهب إليه ابن خلدون .

4/ أنواع الشعر الملحون المغاربي :

و يمكن أن نميز بين نوعين اثنين هما : الشعر الملحون البدوي _ و الشعر الملحون الحضري

أ/ الشعر الملحون البدوي : ينتشر في المناطق الصحراوية و الداخلية تميل لغته إلى القوة و الفصاحة مع توظيف للأمثال و التعابير الوصفية (يمكن تشبيهه بالشعر الجاهلي من حيث طريقة البناء و قوة اللغة و التصوير) و فيه تتعدد الاغراض في القصيدة الواحدة ، كما لا ننسى تأثره بشعر الهلاليين الذين وفدوا إلى المغرب مع الهجرة العسكرية الهلالية

ب/ **الشعر الملحون الحضري** : ينتشر في المدن و الحواضر فانعكس هذا الامر على خصائصه الفنية و الموسيقية . فهو رقيق الاسلوب متنوع الايقاع فيه تحرر كبير على مستوى المضمون و الخيال يتفنن فيه الشاعر في القافية و يميل إلى الليونة و السهولة في الالفاظ و التعابير و يرجع تأثره الشديد بالأزجال و الموشحات الاندلسية